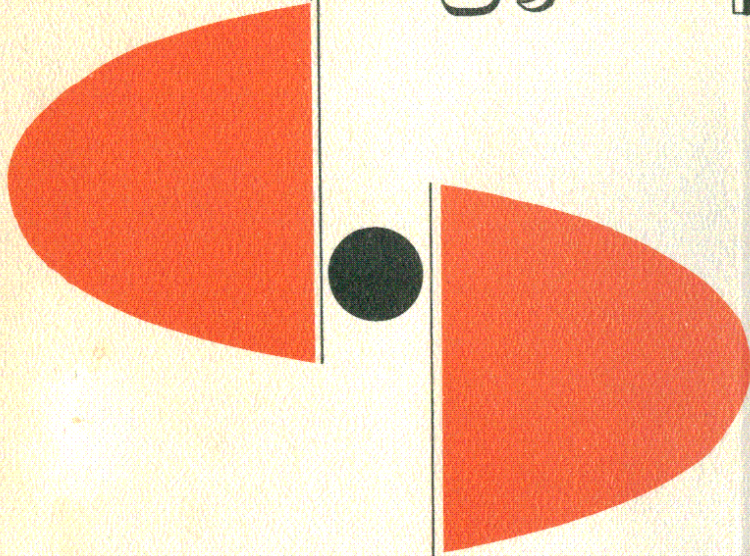


الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام

العيون



خالد حبيب الراوي

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
١٩٩٧ - ١٩٩٧

التمن ١٠٠ فلس

توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان

دار الحرية للطباعة - بغداد

١٩٧٧ منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية
سلسلة القصة والمسرحية
(٦٤)

السيون

خالد جيب الراوي

العيون

شع ضوء مصباح (اللوكس) في باب المقهى الوحيدة على الطريق وكان المطر يهطل في الخارج ، وانكشف الركاب الخمسة في زوايا التخوت ، ووضعوا اقداح الشاي الى جانبهم ، عندما دخل السائق واعلن :

- محرك السيارة لا يشتغل •
- وهب الرجال الاربعة متسائلين •• واقترح احدهم :
- لن دفعها •

وأيدته الآخرون ، وخرج السائق راكضا الى السيارة الجاثمة في الظلام ، وانسل الرجال مسرعين خلفه ، ودفعوا السيارة عشرات الامتار ، ولم تشتغل ، وبللهم المطر ، ثم عادوا بها دفعا ، ووقفوها امام المقهى ، ودخلوا الى الرواق الذي اعد لصنع الشاي والطعام ومضوا ينفضون ملابسهم بأيديهم ، ويسحون شعرهم بسناديلهم ، وتجمعوا حول منقطة الفحم وهم يرتجفون • وغسل السائق يديه من الدهن ، واستمرت المرأة الجالسة تنظر اليهم ، لتظفر بجواب •

وعاد رجل وجلس على التخت القريب منها ، واتخذ الرجال
الآخرون أماكنهم متوزعين •
وصاح السائق :
- شاي للجميع •
وسأله أحدهم :
- ماذا ستفعل ؟
وشتم السائق سيارته ، وأضاف :
- لولا هذا المطر ، لفعلت شيئا •• كما انني لا أستطيع ان
أرى شيئا في الظلام •
وسأل أحد الرجال :
- يعني سنبقى حتى الصباح ؟
واجابه السائق معتذرا :
- وماذا يمكنني ان أفعل ؟
ولم يستطيعوا صب سخطهم على السائق ، فقد كان حائرا
مثلهم ، وبادر أحدهم صاحب المقهى ، بعد ان تفرسوا جميعهم في
الزوايا والتخوت :
- هل نستطيع النوم هنا ؟
واستعد صاحب المقهى لتجاذب حديث طويل :
- دائما تعطب سيارات ، وينامون هنا •
واشار الى التخوت ، وأضاف :
- نعم • يمكنكم ان تناموا على هذه •
وعاد الرجل يسأله :

- وهل لديك وسائل واغطية ؟
واجابه صاحب المقهى :
- لنفوا بعض ملابسكم واجعلوها وسائل ، ولكن ليس لدي
اغطية •
وتحسس الرجل الجالس بجانب المرأة الحصىر والتخت
الخشبي الصلب ، وعلق :
- من الأفضل ، ان نبقى جلوسا ، الى الصباح •
واقترح السائق :
- الا يوجد لديك فراش للاخت ؟
واعترضت المرأة :
- سأبقى جالسة مثلكم •
ثم التفت بعباءتها •
وعاد صاحب المقهى الى ركنه ، واخذ الرجال يتحدثون ،
عن المطر ، والسيارات العاطلة ، وحوادث وقعت في الماضي •
واصطفق الباب ، ودخل رجل بدوي ، ملتحف بعباءته الثقيلة ،
وحرك يديه من داخلها وتفض عنها المطر ، وبقي مختبئا فيها ، ونظر
الى الجالسين ، والقي السلام ، ثم ذهب الى تخت خال ، وجلس ،
ووافاه صاحب المقهى ، ثم جلب له طبقا من الشريد ••
واشار البدوي الى الجالسين وصاح :
- تفضلوا •
واعرب الرجال عن اعتذارهم وشكرهم ، ورمى البدوي
المرأة بنظرة خاطفة ، ثم انحنى على طبقه واخذ يلتهم الشريد
بسرعة ••

وكف الرجال عن احاديثهم ، واخذوا يراقبون البدوي وهو يلتهم طعامه ، وحين جيء له بالشاي ، راح يتسلى فيهم وهو يرتشفه وازاحوا انظارهم عنه ، وتشاغلوا بحركات اقتعلوها ، واتم البدوي تدخين سيكاهه ، ثم تمدد على التخت متدثرا بالعباءة ، وسمعه الرجال يغط وانتظمت انفاسه •
وسأل رجل باندھاش :

- من اين جاء ؟ لا دور قريبة من هنا • كما انه جاء مشيا في الظلام •
وهز السائق رأسه :

- لا احد يعلم •
وظلوا ينظرون اليه فترة ، ثم لم يعد يثير اهتمامهم ، وانحنى رأس السائق مائلا للأسفل وراح يشخر ، واغضى الرجال الثلاثة عيونهم ، وبقي الرجل الجالس بجانب المرأة يقطا يراقب وجوه الرجال النائمين ، وهو يتوق الى التحدث مع المرأة •• ثم نهض ورفع قطعة القماش ونظر الى الخارج ، وتمتم قائلا للمرأة :

- ما زال المطر كثيفا •
والتفتت اليه ، ولم تجبه •
وعاد يتحدث :
- من الصعب النوم على هذه التخوت •
وهزت المرأة رأسها •
وفتح رجل ، يقابلهما ، عينيه ، ونظر اليهما برهة ، ثم اغمضهما • واستطرد الرجل :

- علي ان ادون غدا • من الصباح ، في الوظيفة •
ولم يجرؤ ان يسألها عن اسمها ، او المكان الذي تقصده ، وصمت قليلا ، ثم اضاف :
- لو تمر سيارة من هنا ، فسأذهب ، فانا اول من يصل الى ناحية (ح) وهي لا تبعد كثيرا •
وتحدثت المرأة لاول مرة وسألته :
- هل انت موظف في ناحية (ح) ؟
واهتز الرجل لاهتمامها المفاجيء ، واجابها برقة :
- نعم •
واضافت المرأة بعدما التفتت اليه اكثر :
- زوج اختي موظف في نفس الناحية •
- من هو ؟
- انه (ع) •• هل تعرفه ؟
- واجابها على الفور :
- طبعاً اعرفه • انه صديقي •
وتذكر وجه اختها ، وقارن بينهما ، ووجد ان المرأة التي تجلس الى جانبه اكثر حيوية وجمالا منها ، وقال :
- انها لا تشبهك كثيرا •
وفهمت المرأة انه يقصد اختها • واجابت :
- صحيح • هذا صحيح •
وواتته جسارة مفاجئة :
- انت تختلفين عنها •• اعني •• انك اجمل منها •
ثم ضحك واثار بسببته مهددا :

- اياك ان تذكر لي لها رأيي ، لانها ستحرمني من بعض وجباتها اللذيذة •

وابتست المرأة • وهي لا تعرف ماتجيب به ، وآثرت الصمت ، وشعر الاثنان ان شيئا مشتركا يخصهما ، ويجعلهما اكثر قربا من الاخرين الغرباء •
ولم يابه الاثنان لنظرات الرجل المقابل الذي استيقظ واخذ يراقبهما •

وتبسط الرجل في حديثه :

- امضيت سنتين في الناحية ، اسكن وحدي ، واخذت اجازة قضيتها عند عائلتي في بغداد ، الحياة شاقة في مدينة بعيدة ، لرجل وحيد من المدينة •

وكان صوت المطر يسمع واضحا ، في الداخل ، في فترات الصمت المتقطعة ، وكان جو المقهى قد ازداد دفئا بعد ان دفع صاحبها قطعا من الحطب في المنقلة •

ومضى الوقت طويلا ، وتبدد احساسه بالوحدة ، فالمرأة تجعل الرجل يقظا ومتأهبا ، واستطاع ان يرى قامتها المتناسقة عندما افترجت عباؤها وفكر : (لم تذهب هذه الليلة سدى • فلنبق حتى الصباح ما دامت هذه المرأة موجودة • وانا اتحدث معها ، فلن تستطيع دائما ان تقضي ، ليلة ، تتحدث مع امرأة في مقهى منعزلة ، في الطريق ، نحو مدينة مغلقة وصحراوية) وانقطع صوت المطر وتضاعف الصمت في المقهى •

وقال الرجل وهو يتجه صوب الباب :

- توقف المطر •

ثم عاد الى مكانه وهو يؤكد :

- توقف المطر •

واراد ان يوظف السائق ، وتذكر الظلام الذي يمنعه من رؤية آلات السيارة •

وحين اضاءت بقعة الصباح الصفراء ، استيقظ السائق وكان الجميع نائمين ، وخرج الى سيارته وفتح غطاءها الامامي وانحنى فوق الالات واكتشف العطب ، وابقى المحرك دائرا ، وعاد الى المقهى ، فوجد الركاب قد استيقظوا بعدما سيعوا ضجة المحرك •
وقال :

- اشتغلت • لنشرب الشاي وتتحرك •

ثم انطلق السائق وهو يعتذر عن تأخيرهم ، في الطريق المبلل ، واستدار السائق في الشارع الرئيس للناحية (ح) ثم توقف قرب كراج السيارات ، وفتح الصندوق الخلفي للسيارة واخرج حقبيتي الرجل والمرأة ثم انطلق •

- سأوصلك الى بيت اختك •

ولم تمنع المرأة •• وتقدما وسط الشارع المبلط ، ثم انعطفا الى زقاق تحول الى كتلة لزجة من الطين وحاذر الرجل والمرأة في سيرهما بجانب الجدار ، ووصلا الى بيت اختها ، وقال وهو يقرع الباب :

- كانت سفرة متعبة •

ولم يجه احد من الداخل ، وعاد يقرع الباب بقوة ، وانتظرا •• ثم استنتج :

- لا بد ، انها ، نائمة •
- ونظر في الطريق الخالي ، وعاد الى الشباك ، ولم يفتح الباب •
- وسألته المرأة بخشية :
- لماذا لا يفتح الباب ؟
- واشار الرجل اليها ، بالانتظار في مكانها ، وذهب الى البيت المجاور ، وسأل الرجل الذي أطل وهو يشير الى الباب :
- لا احد يفتح الباب •
- وقال الجار متسائلا :
- ألم تسمع ؟
- وانتبه الرجل وطلب منه ان يخفض صوته :
- لم اكن هنا • ماذا حدث ؟
- وهمس الجار :
- سرق اموال البلدية • واقتادته الشرطة الى السجن •
- وسأله الرجل :
- متى ؟
- قبل يومين •
- وعاد الرجل الى المرأة وهو يخفي انفعالاته ، وبادرته المرأة بالسؤال :
- ماذا يقول ؟
- انه لا يدري اين ذهب • فقد خرجا منذ يومين •
- وقالت المرأة :

- لكنهما لم يجيئا الى بغداد •
- وعلق الرجل :
- ربما سافرا الى مدينة اخرى • وسنعرف الى اين ذهبا من الدائرة •
- وعادا يحملان حقيبتيهما • وسألها في الطريق :
- الى اين ستذهبين ؟
- سأعود الى بغداد •
- وعادا صوب الكراج • واجابهما صاحبه :
- لا تتوفر سيارة قبل العصر •
- ونظر الرجل الى المرأة قائلا :
- هل سمعت ؟
- ثم قال :
- سأذهب الى الدائرة • وانت تستريحين في بيتي الى ان تتوفر سيارة • ما رأيك ؟
- وترددت المرأة •
- فأردف قائلا :
- انت متعبة • وستكونين بمفردك •
- ووافقت المرأة ، واتجهت الى بيته ، واحتدمت في ذهن الرجل صورة (ع) وهو منغم في ليالي القمار في هذه الناحية البعيدة ، وكان (ع) يبررها بانها وسيلة ترفيهه الوحيدة ، في مدينة نائية لا وسيلة ترفيه فيها ، لكن خسائر وارباح القمار لا تتناسب مع رواتب الموظفين ، وقد لعب هو مرة وخسر عشرة دنانير ، وقرر

الا يلعب ثانية ، ولاحظ ان النقود التي توضع على المائدة اكثر من الرواتب ، ولم يغره الحاج مدير الناحية ، الموظف القديم في ان يشاركهم اللعب ، واستطاع ان ينجو منه ، اما (ع) فكان يردد ان اللعب ربح وخسارة ، ولكن الموظف الصغير لا يمكنه تحمل خسارة ، ولو صغيرة ، عندما يكون متزوجا . واقتربا من البيت وهو يفكر .

(حسنا فعلت ، اذ لم اخبرها بالحقيقة ، لانها ستحزن ، وسأفقد سحر الليلة الماضية) .

ودخلا المنزل ، ووضعوا حقيبتيهما في الرواق ، ثم ذهب واشترى طبقا من القشطة وارغفة من الخبز . وعاتبها حين وجدها اعدت شايًا ، ثم خرج الى دائرته ، واستقبله زميله في الغرفة مرحبا ، ثم نهض زميله من مكانه واقترب منه :

- حدث شيء لا يصدق ، في اجازتك . (ع) سرق سبعمائة دينار من البلدية .

وهمهم الرجل مندهشا . و اضاف زميله :

- واحيل مدير الناحية على التقاعد . ان الاحداث لا تصدق . ونظر الرجل اليه وكأنه لا يصدقه . وانساب حديث زميله :

- يقال ان مدير الناحية كان يعلم باختلاسات (ع) لكنه غض النظر عنه ، لانه زميله في اللعب ، وتسربت انباء الاختلاسات ، وسمع بها مسؤول المنظمة الحزبية في الناحية ، المعلم (م) . انت تعرفه ؟

- نعم اعرفه .

- وكتب المعلم تقريرًا الى الحزب ، وجاءت لجنة تحقيق من المحافظة ، ثم وردت الاوامر بتوقيف (ع) واحالة مدير الناحية على التقاعد .

وسهم الرجل ثم سأل زميله ؟

- واين ذهبت زوجة (ع) ؟

وتابع زميله حديثه بنفس الحماسة :

- انها سألت الشرطة الى اين سيذهبون بزوجها ، ثم اقلقت دارها ، وذهبت خلفه الى سجن المحافظة ، لكنني اعتقد انها ستذهب الى بغداد .

وانتقلت افكار الرجل الى منزله ، حيث تجلس المرأة ، ثم

سمع زميله يقول :

- لم يكن لديه مال ، ليعيد ما اختلسه .

وضحك ثم استطرد :

- كان مدينا لمدير الناحية ومعاون الشرطة باكثر من ثلثمائة دينار .

ونقر الرجل على منضدته الخشبية وهو يردد :

- انه القمار . القمار .

واقترب منه وهو ينحني الى جانب اذنه :

- يقال ، ويشهد الله انني لا اردد سوى ما سمعته ، ان مدير الناحية اجبره على تأدية ديونه فاستحال عليه ان يفياها ، ثم اتفق معه على ان ينال زوجته ، ويترك له الديون . ويقال انه نالها .

واهتز الرجل بعنف . وشرست نظراته ، وضج رأسه بالصخب وعاد زميله الى مكانه وهو يرفع يديه :

- انهم يهمسون بساقلته • والمدينة كلها تعرف ذلك •
- وتلبث الرجل جامدا في كرسيه • ثم سأله :
- هل أنت متأكد مما تقول ؟
- واقسم زميله ، انه لم يزد اى حرف على ما سمعه ، وردد
- الرجل بصوت مرتفع :
- اذن كانت عاهرة ؟
- واشار اليه زميله ان يتكلم بهدوء وبصوت خافت •
- وانبعثت المرأة ، التي في بيته ، في ذهنه ، ولم يعلن لزميله
- عن وجودها ، وادرك ، انه لو اخبره ، فإن الخبر سينتشر على
- النور ، ونهض وهو يتأهب للخروج • وقال لزميله :
- السيارة التي اقلتنا من بغداد عطلت في الليل ، وسأذهب الى
- البيت ، لاني لم أنم بالامس • وقل لمن يسأل عني ، انني سأعود
- بعد قليل •
- وتواطأ زميله معه هازا رأسه مؤيدا ، وانحنى على اوراقه •
- وعاد الرجل الى بيته • وحين فتح الباب ، شاهد المرأة منحنية على
- الارض تمسحها ، واستقامت المرأة حين سمعته ، وتراجع هو الى
- الباب معتذرا ، وطلب منها ان تكف عن مسح الارض ، واخبرته
- بانها اوشكت على الانتهاء ، ومررت الكيس القديم المبتل على
- الارض ، ثم نهضت وقالت :
- يبدو ان الارض لم تمسح منذ اشهر •
- واجابها :
- ومن يمسحها ؟ انني لا امسحها مطلقا •
- وجفت يديها ، ثم جلست • ومكث الرجل في الباب وسألته :

- الم تعرف اين ذهبا ؟
- واجابها :
- نعم سافر باجازه الى البصرة • وصحبته اختك •
- وتساءلت المرأة :
- هل يجوز انه ذهب الى بيت اخته هناك ؟
- قال الرجل :
- ريبا •
- وكان يفكر ، لو انه اخبرها بالانبياء التي يعرفها ، فماذا
- سيحل بها ؟ • وردد :
- الموظف يحتاج الى فترة راحة بين حين واخر •
- وتنهدت المرأة :
- لو كنت اعرف انهما سيسافران ، لما حضرت •
- وود الرجل لو يجلس الى جانبها ويداعبها ، ولكن خوفه
- وخجله جعلاه ينحرف الى مقعد منفصل ، واختلس الرجل نظرات
- الى ركبتها وساقها ، ولاحظته المرأة واندفعت يداها تشدان طرف
- ثوبها الى اسفل الركبتين •
- وثارت صورة (ع) في ذهن الرجل والاقاويل حول زوجته،
- وحاول اتها ارتباكها :
- انت جميلة • جميلة جدا •
- ثم نهض وجلس الى جانبها ، ومد يده الى يدها ، وانكمشت
- في الزاوية واراد ان يطوقها بذراعيه ، وقالت مستاءة :
- انني اخطأت اذ اتيت الى بيتك •
- ونهض الرجل وامسكها ، وحاول ان يقبلها ، ودفعته :

الرجل

ينحدر مركب الحمل المستطيل قرب شواطئ دجلة ، من بغداد الى البصرة ، ناقلا الحبوب والتمور ، ولا يترك الا دويّه البطيء وتلويح اطفال على الضفاف •
ويتنقل سائق المركب بين الاكياس الكبيرة على سطح المركب عندما يمر قرب القرى والمدن ، محذقا في النسوة اللاتي يغسلن الملابس على الجرف او يملأن جرارهن •
واسند السائق ظهره على كيس من الحبوب وانطلق يغني بصوت مرتفع عن مسافر لا يتوقف الى ان يموت ، وراح غناؤه يتعالى ، وارتفعت رؤوس بعض النسوة تتطلع اليه ، وصاح مساعده الذي يدير المركب :
- الله • الله •

واخذ السائق ينمق نغمة صوته ضابطا لحنه ، وكانت الاشجار تقترب وتبتعد عن المركب ، وانكشفت امتدادات من الارض الجافة الخالية ، وتأمل السائق الجرف الذي يتحرك ببطء وهمس :

- اتركني • اتركني
وضحك الرجل مهتاجا ، وقرر ان يدلي لها بالمعلومات التي سمعها ، لكنها تناولت عباءتها ولبستها وانحنى ورفعت حقيبتها ، وردد :
- انني اعتذر • ارجوك ان تبقي وتتناولي الغداء •
ثم امسك بيدها :
- ارجوك ان تبقي • اين ستذهين ؟
وسجبت يدها بقوة • وهي تقول :
- اتركني •
وخرجت •

وهذا احتياج الرجل ، وتجول في الغرفة ، ماذا يده ، فوق المدفأة ، في رواحه ومجيئه ، ثم خرج الى الشارع ، وسار صوب الكراج ، وشاهد المرأة جالسة ، ومتمهلا ، ثم عاد ، ولم يحاول ان يقترب منها ، وعاد الى بيته منتبها الى انه وغد حقيقي •

القفرة

تقدمت الدبابات وهي تقوس قنابلها وراء القرية العربية . وكانت قنابل الاعداء تهر بلاء تحديد ، وثارت من الارض المرتفعة كتل الغبار ، وشكل الغبار خطا منحنيا كثيفا ، واستمر التقدم بطيئا ومتواصلا ، وزمجرة الدبابات المرتجة تتناسق متحدة ، وشعلات اللهب تضيء وتنطفيء من اعلى المنحدر وحتى امتداد الطريق البعيد ، ووصلت الدبابات الى مقدمة القرية وكانت دبابات الاعداء قد تقهقرت على الطريق الجبلي ولم يعد يظهر منها سوى قنابلها التي تنفجر بعيدا .

وتوقفت الدبابات المتقدمة واخذت التي تتلوها تبطيء تقدمها ، وظهر رجل في الشارع يحمل علما عربيا مدعوكا ، وهو يفتح ذراعيه ، واخذ يضحك ويرقص وهو يلوح بعلمه للدبابات المتقدمة .

وارتفع برج قيادة دبابة وظهر رأس حدائق في الرجل ثم لواح له بيديه .

وصرخ الرجل : لقد هربوا .

- كم هو مرير ان يقضي الرجل نهاية حياته وحيدا . انه الان يعيش في المركب ويقضي ايامه متنقلا بين بغداد والبصرة ، يحمل اكياسا ويفرغ اكياسا ، ولا يتوقف الا قليلا للتزود بالوقود ، فقد اصبح المركب بيته :

(كان متزوجا منذ سنوات بعيدة ولكنها هربت بعد ان طالت ايام سفره) ولم يستطع ادراك المكان الذي هربت اليه . وكان كلما عاد يتوقع ان يجدها ، لكن بيته ظل خاليا ، ثم باع البيت والتجأ الى المركب .

انه يحقد الى الشواطيء ، في النسوة الكثرات ، لعلها تكون احداهن ، لكنه يهجن انها ليست مع نسوة الشواطيء ، انما في المدينة ، في مكان ما فيها ، ويتأمل بحزن فكرته : (البيت الذي فيه امرأة يشع منه دفء خاص وساحر) ، ويتحد في هذا المركب مع البرد والمطر والشمس المحرقة وماء النهر واشجار الضفاف ويردد : (لقد شاخت الان ، هي الاخرى ، لو كانت حية) وآمن بتردد انه لن يعرفها بعد هذه السنوات .

انه يرفع صوته مغنيا في المساءات اللطيفة وينظر الى البيوت المظلمة التي تلوح من ثقب تخللها انوار ذابلة ويستمر المركب يهدر وهو ينحدر في الماء الاسود والرجل يغني عاليا .

رسال

انهم يسيرون وينظرون الى الناس الذين يصفقون لهم ، او يحدقون في وجوههم للاحتفاظ بذكرى ، وسارت الشاحنات في قافلة طويلة ، وعبرت القافلة المدينة القديمة بدون ان تتوقف ، وتجمع رواد المقاهي والمارة على جانبي الطريق يلوحون ، ومرت القافلة ، بسرعة ، بسرعة ، بسرعة ...

ورفع الجنود المتكئون على حواجز الشاحنات اذرعهم ، وجلسوا على المقاعد الخشبية الطويلة ، عندما تركت قافلتهن المدن ، واخذوا يبدون سيقانهم وايديهم ليشعروا بالخدر ، وقد انزلوا قبعاتهم على جباههم .. والقافلة ترتج .. وترتج .. والشمس حارقة ..

وتوقفت الشاحنات ، ونهض الجنود يستطلعون عبر الحدود ، عليهم يبصرون الحرب ، وانظارهم ترتفع الى السماء تبحث عن طائرات ، وكانت الحدود بعيدة عن مرمى القذائف ، وانتقلت الاصوات عبر الشاحنات تتساءل بتوتر وغضب عن

وتقدم من الدبابة الاولى وراح يقبلها ، وجاوزها محييا الدبابات الاخرى بعلمه ، ثم استدار نحو الرأس المثل من برج القيادة وقال له :

- كنا ننتظركم كل يوم .. ولم نصدق ان الحرب ستكون •
وابتسم الرأس وهو ينظر الى الارض القصية وركز الرجل عصا علمه في الارض •

وصاح الرأس المرتفع فجأة :

- ابتعد عن الطريق • اختبيء • اتت الطائرات •
وانسحب غطاء البرج واختفى الرأس •
وانزلت طائرتان صغيرتان وهما ترميان شريطا من الرصاص ، وارتفعت من الدبابات فوهات ملتهبة نحو السماء • ثم اختفت الطائرتان •

وارتفع غطاء برج الدبابة الاولى ، وامتد الرأس ينظر ملتفتا ، وكان رجل العلم منظرًا على الارض والدم يتفجر من جذعه الاعلى ويده تمسك بعصا العلم المغروسة في الارض •

الطيور الجبالية

رصد الضابط من مكمنه سقوط القنابل المتناثرة ، وشاهد جنديا يغني وهو يركب حمارا والقنابل تنفجر متقاربة حوله وهو يتقدم غير آبه •

وصرخ الضابط وهو يرفع رشاشته :

- انزل •

وقفز الجندي تاركا الحمار ، وعاد متمهلا الى الخنادق ••

وصاح به الضابط :

- الا ترى القنابل ؟

وقال الجندي بثبات :

- انني لا اخافها •

امتلا الضابط بالفخر لارتفاع معنويات جنوده ، لكنه قطب

وقال :

- ان حياتك تهمنا • لا تعد الى هذه الفعلة ثانية •

وحياه الجندي وانسحب •

★ ★ ★

- ٢٥ -

سبب التوقف • وتدفقت الشاحنات من جديد ، تمر فوق الشريط
المتند في الصحراء •• انهم سيصلون في اي منعطف الى الحرب ••
هكذا حدى الجميع •

وانبعث صوت خافت يهتف للثورة ، وتصاعدت الاصوات
من الشاحنة وسرت الى الشاحنات الاخرى ، وامتد الهتاف متسقا
قويا في تلك الصحراء ذات التلال الرملية •

وازدادت نقاط التفتيش على الطريق ، وكانت الشاحنات
تبطيء ثم تنطلق بعد دقائق •

وعند النقطة الاخيرة للتفتيش نزل الجنود من شاحناتهم

وهم يحملون رشاشاتهم وبنادقهم وتجمعوا حول ضباطهم •

ولاول مرة سمعوا اصوات القذائف البعيدة ، والتفتسوا

جميعهم نحو افق الجبهة •

وهبوا بالمسير نحو ذلك الافق ، لكنهم انتظروا التعليمات ،

واتتهى الصمت ، ودوى نثيد الثورة قويا •• قويا •• قويا •

مسافات

ثمة حمامة تتحرك على سطح المنزل ، على امتداد نظره ،
وخلف البنايات كانت القمة تلوح ، وطيور مسرعة تظهر ثم تختفي •
وارتقق بكوعه على حافة النافذة ثم استدار وتفحص غرفته
عندما سجع جرس الباب •
وابتسمت امرأة تحمل طفلا وهي تنتظر • • وفتح الباب
بكامله وأشار إليها ان تدخل ، ثم اغلقه خلفها ، وعاد نحو النافذة ،
وجلست هي على السرير ، ثم انحنت ووضعت طفلها على الارض
وانتظرت •
سألها مشيرا الى الطفل :

- هل هو طفلك ؟
وهزت رأسها مؤيدة ، وهي ترفع مؤخرتها وتجلس في
وسط السرير • واستطرد يسأل :
- هل له اب ؟
اجابته :
- ذهب الى الحرب •

قرع الجندي الباب وفتحته امرأة ، شهقت ، ثم فتحت الباب
الى نهايته ورحبت به ، وقفز ثلاثة اطفال نحوه وتعلقوا به
وبحقيبتة الصغيرة ، وكان الجندي يضحك ، واستمر يضحك وهو
يلبس المرأة التي ركضت نحو القدر واشعلت نارا تحته ، ثم
عادت الى جانبه •

وتمدد الجندي الى جانب زوجته • وكان الاطفال قد
ناموا • وهمست :

- الا تنام ؟ انت تعبان •
واجابها :
- لا اقدر • الهدوء يجعلني استيقظ •
وفي ايام اجازته الخمسة لم يشعر بفرح في قريته الهادئة
ذات الحياة الثقيلة •
وعندما عاد الى الجبهة ، كان يضحك ويعني •
ناداه الضابط :
- لم اسمعك تغني منذ ايام •
صمت الجندي وحيا ضابطه •
وعندما ابتعد راح يعني من جديد •

الحجر الضوئي

كان الرجل ممددا على الارض ، وفوقه بطانية خارج
المستشفى الذي يحترق ، ولم يقترب منه احد في بادئ الامر ،
فقد ظنه المواطن العجوز الذي رآه من بعيد ، ميتا •
وتصاعد الدخان عاليا ، ثم راح يخبو ، وجرفته الريح
السريعة ، ولم تبق في اليوم التالي ، سوى اللطخ السوداء حول
الابواب والشبابيك •
واقترب المواطن العجوز ، من الرجل ، فاويا ان يحفر
قبرا له ، وحين انحنى فوقه سمعه يتنفس •
وكان العجوز قد شاهد في الايام الثلاثة السابقة بعض الناس
يحضرون الى المستشفى ويحملون مرضاهم ويذهبون بهم ، وهرب
المسلحون الذين يحتلون المنطقة ، بعد ان اخرجوا بقية المرضى ،
وقذفوا بهم الى الشارع ، ثم احرقوا المستشفى ، وبقي الرجل
وحده •
وعندما وجد العجوز ان عيني الرجل تحدقان به •• قال له :
- سأخذك الى بيتي •

واخذ الطفل يتحرك ويزحف متعلقا بحافة السرير ، وكانت
المرأة لا تشبه اللواتي يقرعن الابواب ، لكنهن اصبحن كثيرات
ولم يعد التمييز بينهن يسيرا •
واستدار الى النافذة ، وكان الالم الغزير يتدفق في جسده
ونظر الى السطوح العالية للبنائات ، والى الطيور المسرعة ،
واستمر يحدق في الافق الذي استحال الى الاف الجثث ، وكانت
المرأة تنتظره •

الحروب

كان البيت الاخير في القرية مظلماً ، اجتزت سوره وانطلقت في الصحراء . كنت منشراحاً ، اكاد اغني ، لولا تذكري المهمة التي اوكلت اليّ : قيل لي ان شخصاً مهما سيقله (لوري) عليّ ان انقله عبر الحدود . لقد ساقطت شهرتي في تخطي الحدود وتهريب امن الاشياء سمعة خطيرة بين سكان القرية ، ورغم نشوتي باهميتي بينهم ، الا انني كنت اهجس خطورة هذه السمعة . وكنت اتوقع ان تكون طرقات الليل على بابي من الشرطة الذين ينزوون في وسط القرية ، ثم يقذفون بي الى الابد في سجن المدينة .

اصبحت القرية بعيدة ، عندما التفت ، وانزويت قرب تل ، وسمعت هدير سيارة ، ثم رأيت هيكلها يقترب ، وتقدمت الى وسط الطريق ، وانا اتفرس فيها . . ابطأت السيارة ثم اضاء سائقها انوارها عليّ برهة ، واطفاً الانوار ثم المحرك . وفتح الباب وقفز ثم قال لي :

- تبدأ الان مهمتك . انت مسؤول عنه منذ هذه اللحظة .

كنت مثلها لرؤية الرجل المهم ، ولم يسبق لي ان شاهدت

ونظر الرجل اليه بامتنان ، وازاح العجوز البطانية وظهرت ساق الرجل الملفوفة بغطاء متسخ ، ثم رفعه من تحت ابطه ، واستند الرجل على ساقه السليمة وراحا يهبطان الشارع .

وعندما أخذ الجنود يتقدمون في المنطقة ، سمع العجوز قرعاً على باب كوخه ، وشاهد ضابطاً شاباً وخلفه أربعة جنود ، وارتبك العجوز ، وايقن انهم سيجهزون على المريض الذي سحب البطانية واخفى نفسه تحتها .

ابتمسم العسكري وقال :

- انا طبيب . هل لديكم من يحتاج الى علاج ؟

ولاحظ العجوز ان الجنود يحملون الحقائق بدل البنادق ، واطمأن واثار برأسه نحو المريض ، وتقدم العسكري ورفع البطانية ، ولمس الغطاء المتسخ ، وفكه برفق وهو يسأل المريض المتشنج :

- ماذا بك ؟

وحاول المريض ان يتخفف من ذعره وهو يجيبه :

- انها مكسورة .

وعلق الطبيب بصوت واضح :

- ستشفى .

وازاح الغطاء واخذ الجنود يفتحون حقائبهم ويخرجون منها اللقافات والادوية .

وعبر الصمت في تلك الدقائق ، سمع جميع من في الكوخ ، اصوات السيارات والمدركات المتدفقة ، وهي تتقدم الى الامام .

شخصاً مهماً سوى المسؤول الإداري الأول في المنطقة • حدثت
إلى الفراغ بجانب مقعد السائق وقلت :
- أين هو ؟

- واستدار السائق إلى خلف السيارة وهتف :
- وصلنا يا استاذ • نحن في المرحلة الأخيرة •
ودفع الرجل مجموعة من الفراات ونهض • وكان يرتدي
ملابس قديمة ممزقة ، ولحيته طويلة ، وإح ينظر في الظلام
متلفتاً ••

قال له السائق :

- ستذهب معه ، وسينقلك إلى الحدود •• استودعك •
سأله الرجل وكأنه يتعلق به :

- هل تذهب ؟

- سيتولى إيصالك • اما أنا ، فعلي أن أعود •

ونظر إلى الرجل وسألني :

- هل توجد شرطة في القرية ؟

- سأخذك معي إلى بيتي • ثم تنطلق في الفجر •

وعاد الرجل يسأل :

- الشرطة ؟

- انهم نائمون الآن ، لا أحد يخرج منهم في الليل •

وازداد ارتجاف الرجل :

- لن اذهب إلى القرية • يجب أن نرحل الآن •

قلت :

- من الأفضل أن نسير في الفجر لكي نرى الطريق •

- يجب أن نرحل • الحكومة تطاردني !

قلت بتصميم :

- الطريق محفور • وستحطم دراجتي النارية •

- سأعطيك ما تشتري به دراجة جديدة •

وفقدت الاهتمام به بعدما رأيت رعبه ، ولم يعد بالنسبة لي

سوى صفقة • وسمعته يردد :

- سأعطيك مائة دينار •

وتدخل السائق :

- ولكنهم أعطوه عشرة دنانير لنقلك •

واجابه بازدياء :

- هذا ليس من شأنك •

وصت السائق وقلت لآخف حسده :

- انني عند اتفاقتي • وقد استلمت الدنانير العشرة •

وهتف الرجل :

- اسرع واجلب دراجتك • سنرحل الآن •

ووافق السائق مستسلماً :

- يجب أن تسافر فوراً •

أسرعت إلى القرية وأخرجت دراجتي وأخذت أسحبها كيلا

تثير بصوتها انتباه الشرطة ، وعندما ابتعدت عن البيت الأخير ،

أدركت المحرك وانطلقت •

كان الرجلان يدخلان ولمحت التساع الجذوتين • وتوقفت

قربهما وأسرع الرجل واعتلى الدراجة خلفي ، وصاح السائق :

- مع السلامة •

وراح الرجل يسألني عن الشرطة ، وقلت لاشعره بأهميتي :
- انهم في كل مكان • لكنني لا اكرث لهم •
صت الرجل واحسست بحرارة سيكارتته تمر قرب كنتفي •
كان سيرنا حذرا وبطيئا ، وازدت التحدث معه في تلك

الصحراء :

- لماذا تهرب ؟

- انني سياسي •
سألته بسذاجة :

- وهل يهرب السياسي ؟
وتصلبت يده المرتعدة المتسكة بي ورمت يده الاخرى
السيكارة وقال متضايقا :

- ارجوك ان تسرع •

وعدت اقول :

- حكومتهم تعاديننا •
وشعرت بكفيه يرتجفان وقال بصوت مدهان وكأني سأسلمه
للشرطة :

- لا لا •• ابدا • ولكنني لن اسجن • هه ؟ اليس ظلما ان

يسجن رجل بريء ؟

واخذ يتحدث عن نفسه وخشيته • وتيقنت انه رجل فزع
وكدت اقول له ان الرجل الذي يخاف ، عليه ان يتجنب السياسة ،
ولكن انزلاق الدراجة في حفرة وارطامها بحافتها الحادة ، رمانا
على التراب ، ولمست الرجل :

- هل اصابك اذى ؟
ونفض الرجل ثيابه ونظر الى الدراجة :
- انني بخير • لنستمر •
ورفعت الدراجة من الحفرة وحاولت تشغيلها ولم تتحرك •
وقلت له بغضب :

- ألم اقل لك ان نساfer في الفجر •

واجابني وهو يتلفت :

- هل تستطيع اصلاحها ؟

- سأحاول •

ورفعت الدراجة على مسندها وبدأت المسها في الظلام ،
واصبحت منهكا ، ولم تعد لي رغبة باصلاحها ، واخبرته :

- انها لا تشتغل •

سألني بخوف :

- وانا • ماذا سأفعل ؟

واجبته ببرود :

- لا ادري •

وكان هواء الليل المنعش يحرك ثيابنا • واقتربت :

- دعنا نذهب الى القرية لعلنا نعر على حل •

- هل تستطيع الحصول على دراجة ؟

وكنت اعلم انه لا يوجد من يمتلك دراجة في تلك القرية •
واوشك الرجل على البكاء وردد يائسا :

- ماذا سأفعل ؟ ماذا سأفعل ؟

رجل الممرات

كان مشلولاً ومرتبخاً على السرير ، وهو ينصت الى اصوات
ماء ، في ممرات المنزل •

منذ سنوات اصيب بشلل في رجله ، واستمرت زوجته تعمل
وتتفق عليه ، وغمره خجل في البداية ، افسد عليه شعوره بالامتنان
الخفي ، لكنه اعتاد وضعه وان راح في بعض الاحيان يفكر في
حالات مرعبة : كما لو ان زوجته تتركه ، او انها تموت ، ويبقى
هو في البيت الى ان يتغفن وتتحلل جثته ، وهو يتوازن في النهاية
عندما تحضر زوجته وتحميه برعايتها •

واحسن منذ اسابيع ، ان زوجته تنصرف عنه تدريجياً ، وان
بقيت ترعاه بنفس الدأب القديم ، واراد ان يكشفها بتقلبها ،
وادرك وهو الملقى ، على حافة الهاوية ، انه وحده الضحية في
النهاية ، وصمت ، وحزنه وكمده يكبران ، وبقي غاضباً ومذهولاً
لا يستطيع ان يفعل شيئاً ، ولم يستطع ، عصر ذلك اليوم ان
يقاوم هياجه ، عندما ناولته قدح شاي •• وقال :

- انك تتغيرين •

وانتهت الزوجة وحدقت في وجهه :

- تعال معي الى القرية لننام ثم نسافر
- كم تبعد الحدود ؟
- حوالى خمسة عشر ميلاً • والطريق يمتد مستقيماً •
وسألني :
- اذا ذهبت مشياً • هل اصل قبل الصباح ؟
- الطريق متعب • وانا مسؤول عن ايصالك •
- لا عليك • سأذهب •
واخذ يبتعد ويصغر في الافق والظلام •
وسحبت الدراجة وتوجهت نحو القرية • وطرقت باب احد
اصدقائي وكنت متعباً • لكنني لم استطع النوم •

نوافذ مظلمة

- قال الرجل - لنهض •
- واجابته - لن اذهب معك •
- ومد يده عبر المائدة وضغط على كفها بقوة وحاول جرهما
- وتقلص وجهها من الالم •
- وكانت الموائد في الطابق الاعلى من المطعم خالية الا منها ،
- وقال لها متسائلا وهو يتصنع الهدوء :
- لماذا اتيت اذن ؟
- ونظرت اليه وقد تحرر كفها :
- هكذا •
- ونظر الرجل صوب السلم الخشبي ليتأكد من ان احدا لن
- يرتقيه ، ونهض وانحنى فوق المائدة ، متجها بجذعه نحوها ، وكاد
- يتوسل :
- لنذهب معا •

- لم اتغير •
- وأكد بغضب :
- اني احس ، بانك تتغيرين •
- ووضعت قدحها على المائدة التي تفصل كرسيها عن سريره
- وقالت :
- انك تشك بي • اليس كذلك ؟
- صمت الرجل منتظرا ، مليئا بالارتياح ، وانتظرت هي جوابه ،
- لكنه بقي مترقبا بلهفة ، وبغته انفجرت الزوجة :
- لم تعد محتملا • الا تدرك ذلك ؟ انني افني حياتي من اجل
- ميت ، ثم ترميني بلؤمك ووساختك •
- هلع الرجل من غضبها ، وأشار اليها ان تمنحه فرصة للكلام
- وهو يردد :
- انك مخطئة • لا اعني شيئا •• اسمحي لي ••
- ولكن انفجارها لم يتوقف ، وهي تستجمع كل آلام
- تضحياتها :
- انك تطعنني • لم أعد اطيعك • هل فهمت ؟ لم أعد اطيعك •
- ونهضت من كرسيها ، واختطفت حقيبتها الصغيرة وتركت
- الغرفة •
- وسمع الرجل ، الباب الخارجي يغلق بقوة ، ونظر الى اقداح
- الشاي ، والى كرسيها الفارغ ، وزحف فوق سريره مستديرا وانكأ
- على مسند كرسيه المتحرك واستطاع ان يحرك عجلاته ، وتقدم في
- ممرات المنزل الى الباب الخارجي •
- وعندما فتح الباب واطل في الشارع ، كانت زوجته قد
- اختفت •

نوافذ مظلمة ، مظلمة

- بعد ان انتهيا من تناول الطعام .. قال لها :
- ما رأيك في ان نذهب الى غرفة املاكها ؟
- وارتعشت ، ثم تماكنت هدها واجابته :
- انك تمزح بلا شك .
- انني لا امزح .. وهذا هو المفتاح .
- واراها المفتاح .
- كان الرجل زميلها في الوظيفة ، ولم تخيب رجاءه عندما دعاها لتناول وجبة طعام .
- قالت له :
- الا يمكننا ان نحفظ بصداقتنا بدون ان نذهب الى الغرفة ؟
- صمت قليلا ، ثم قال :
- لنذهب معا .
-
-
- قرعت القدرح بالمائدة . نهضت . اسرعت مستديرة في المنعطف . ولحقها الرجل ، الا انها لم تعد تجيب عليه .

- انك لا تفهم .
- ستذهبين معي . اليس كذلك ؟
- ورفعت المرأة قدحا زجاجيا وقرعته بالمائدة قرعا متواصلا فعاد الرجل بسرعة الى كرسيه .
- وأز الدرج الخشبي تحت اقدام النادل .
- وكلسته السيدة : الحساب من فضلك
- واسرع الرجل مضطربا ، في اخراج نقوده ، وهرعت المرأة تغادر المطعم بدون ان تنتظره ، وغذت خطاها صوب اول منعطف .
- وسعت الرجل يقول لها وقد اصبح بجانبها .
- الى اين تذهبين ؟
- ثم ردد
- هكذا اذن ؟ هكذا اذن ؟
- ودفعه امله لان يستمر متابعا لها ، لكنها لم تعد تجيب عليه .

التصاق

تعبت العجوز من الانتظار ، فزوجها لم يعد بعد ، وكانت الغرفة الصغيرة باثائها القديم المتهاك ، مضاءة بمصباح صغير .
الاولاد . الاولاد . كانوا حلمها الدائم ، فهي لم ترزق بطفل ، وسواء كانت هي السبب في العقم ، ام زوجها ، فأن النتيجة التي ناقشها طويلا ، قد اصبحت سواء ، لكنها لا تتخلى عن الحلم ، كانوا سيصبحون رجالا او نسوة ، يتزاحم حول ارجلهم ، اطفال عديدون ، وكانوا سيزورونها ، ويندفعون ضاحكين الى تقبيلها ، فتخرج لهم من جيوبها ، كانت ستخرج لهم من جيوبها ، قطع الحلوى الصغيرة وتوزعها عليهم ، وستتخذ موقعها الذي حددته منذ سنوات طويلة ، في وسط الغرفة ، بحيث ترى الجميع ، ويستطيع الجميع التحدث والوصول اليها بسهولة ، لكنها لم ترزق بطفل ، ولم تتخل عن احلامها ، حتى بعد ان ادركت انها اصبحت عجوزا . وهي تملأ وقتها الطويل ، الطويل بالاحلام ، فلم تكن تملك شيئا جميلا غيرها ، فزوجها عامل لا يكسب الا ما يتيقنهم احياء ، وهو الان عجوز ، ولم يعد قادرا على العمل المتواصل ، وهما يجوعان في ايام كثيرة ، لكنهما لم يموتا بعد من الجوع ، وهو يتجول لعله يقتنص فرصة لتقديم عمل او خدمة .

التصاق ، التصاق

العجوز يائس من حياته ، فعليه ان يعمل ويكسب النقود ، وهو يتحامل على نفسه ، في كثير من الاحيان ليخرج باحشا عن عمل ، لم يعد يقبلونه ، وهم ينظرون اليه ، ثم يعتذرون ، وتعلم منذ زمن طويل ان الاقوياء وحدهم يستطيعون العيش بشكل افضل ، ولو كان لديه اولاد ، لكان في هذه الدقيقة نائما في فراشه . وعليه ان يقطع الطريق مشيا ، فلم يكن يملك نقودا ، وارهقه المشي ، وبقيت مسافة طويلة الى بيته ، وفكر في النوم على الرصيف والذهاب الى بيته صباحا ، لكنهم سيوقظونه ويطلبون منه الذهاب . او ربما وضعوه في السجن .

وتلاشت قواه ، وسقط على جانب الطريق ، وتطلع اليه بعض المارة ، ثم استمروا في طريقهم .
وكانت زوجته العجوز تغط في نومها .

الوئمة

- تعثرت المرأة العجوز وهي تضرب الارض بعصاها الرفيعة •
ونقرت على الرصيف وعبرت الى الجهة الثانية ، واسرعت عندما
تأكدت ان دوي الانفجارات ليس بعيدا •
وسمعت صوتا ناهرا :
- انت ايتها العمياء ؟
وتجسدت العجوز في مكانها وراحت تدمدم • وضحك
الصوت الناهر :
- انت فلسطينية ؟ هاه ؟
واتاها صوت اخر يأمر :
- لا تقتلها ! ماذا تفعل ؟!
وانقلعت العصا من يد العجوز بسحبة سريعة • وصاح بها
الصوت الناهر :
- هيا اركضي وابتعدي من هنا •
ومدت العجوز يديها في الهواء تتلمس طريقها •
- اركضي والا مت •
وهرولت العجوز ، لكنها انكفأت على وجهها • وتمددت
قرب الرصيف •
وانطلقت ضحكتان مدويتان في الشارع المهجور •

شرفة في بيروت

- سمع الاب الباب ينفتح ، وقفز من غرفة النوم صارخا :
- من بالباب ؟
ووقف الطفل الصغير مسمرا اثر الصرخة • وصاح به الاب :
- ماذا تفعل ؟ اين تذهب ؟
تلجج الطفل وهو ينظر صوب الدرج :
- الكرة • سقطت من الشرفة •
وسجبه الاب من يده واقلع الباب • وردد الطفل :
- الكرة •
وافهمه الاب :
- ستسوت ان خرجت الى الشارع •
ولم يفهم الطفل • واتجه الى الشرفة • وشاهد كرتة مرمية
على الجانب الاخر • وبكى •

نافذة

تحركت خمس نقاط في انحسار الشمس ، وانبعث ضوء
باهر باستقامة من الجهة المقابلة ، والتصقت النقاط بالارض ،
واكتسح الضوء الارض باحثا عن اية نقطة بلا توقف •
ودوت اصوات الرصاص والقنابل ، وشعت الاضواء على
النقاط الخمس • واخذت تتراجع • اربع نقاط تركض •
ثلاث •
اثنان •
واحدة •
 واصبحت النقطة رجلا • ومن بعيد كبرت النار •

زوارق

جلست الصلعتان الشائبتان على مصطبة في الشريط الاخضر
الممتد على الشاطيء ، وراحتا تتابعان القتيات العابرات •
وقالت الصلعة الاكثر التماعا :
- آه •• لو عاد الشباب •
وضحكت الصلعة الاخرى مواسية :
- لا تحلم •• لا تحلم
- الدنيا تزداد جمالا ونحن نبتعد عنها •
ووجهم العجوزان برهة •• ثم استمرا يتابعان القتيات
العابرات بشغف •

اوتاد

تواثب الاطفال حول المرأة العانس ، الجالسة في الحديقة العامة ، وكان بعضهم يصرخ واخرون يتدحرجون •
ابتسمت المرأة برضا وقالت لهم •
العبوا واصرخوا يا اولادي •
ثم رددت بخفوت :
(لا بد من الضجة عندما يلعب الاولاد • لن اضيق بهم مهما صنعوا) •
واخذت الشمس تنحسر ، وحين نهضت المرأة كان الاطفال قد اختفوا ، وسارت وحدها متجهة نحو بيتها الموحش •

المزلاج

اختفت المرأة في الرواق عندما دخل الضيفان خلف زوجها وتنحج احدهما بصوت مرتفع :
- احم •
وحملت لهم صينية الشاي ، ووقفت خلف الباب وقرعته ، وخرج زوجها وتناول الصينية ، وتقهقرت المرأة • وحين اطمانت الى ان زوجها يتحدث مع الضيفين ، دلفت الى المطبخ وراحت تراقب حديقة الجيران ، حيث جلس الزوجان الشابان في الارجوحة وهو يمسك يدها •
وتنهدت المرأة وتمنت لو ان زوجها لمس يدها يوما ، واخبرها بانه يحبها •

المكافأة

امسك صاحب معمل الطابوق بالحمار ولمسه من رقبته ،
ثم شدها برفق وقبله على رأسه وخاطبه :
- انت الوحيد الذي بقيت مخلصا لي ، لانك لا تطالب بزيادة
الاجور ولا بالضمان الاجتماعي او التقاعد ، ولست منتميا الى
نقابة •

وتوقف العمال المكدودون عن العمل ، وشاهدوا جميعهم ،
دموع صاحب المعمل الذي اخفق في ابتزازهم ، وللحظة ايقنوا
انه جن ، وفجأة قهقهوا من اعماقهم •

المسكة

تخلت عنه وداعته عندما اصبح موظفا •• انه يشي بين
البدلات الانيقة والنساء الجميلات والبيوت الواسعة ، ويعود الى
بيته المتداعي في اخر المدينة ناضبا متوحشا ، ولا يجد سوى
زوجته فيوسعها ضربا •

وقالت له زوجته يوما بعد ان تحطمت العصا على جسدها
- سأموت •

وابيض وجهها وهي تنهار على الارض • وتجند لحظة ، هل
يرفسها ويخرج ؟ او ينتظر الى ان تموت ؟ لكنه جثا الى جانبها
وبكى •

عزيزتي سميرة

حمل الفتى حقيقته وغادر الزقاق الى بيت عمه في الجانب
البعيد من المدينة • وسمع بعض الاسئلة تتعقبه :

- هل تسافر عزيزتي سميرة ؟
- وود لو ينقض على مطلقى الاسئلة ويهشمهم لكنه لم يلتفت •
- وكان الفتى قد كتب رسالة ، منذ زمن ، الى جارتة سميرة
التي يحبها بدأها بـ (عزيزتي سميرة) وحملت الفتاة الرسالة الى
صديقاتها وانتشر الخبر ، وطلق سكان الزقاق ينادونه (عزيزتي
سميرة) وظل الاسم يطارده ، فحزم حقيقته وترك الزقاق •
- وتوقف على الجسر ، وراح ينظر الى الطيور البيض التي تعلقو
وتهبط على الماء ، وسمع بقة صوتا هادرا :
- عزيزتي سميرة •
- والتفت بسرعة ، ولم يشاهد احدا •

المنحني

صرخ بأعلى صوته حاثا حصانه على الاسراع ، لكنه لمح بعينه
المدربتين ان حصانه انغمر في الوسط ، ولم يتلاش امله الا عندما
اجتازت الافراس الاخرى خطوط النهاية • وطلق يشتم • وشق
طريقا بين الرجال المتلاصقين وراح ينظر الى الارض غله يعثر على
ورقة نقدية ليعود الى اللعب • واجتاز الباب الرئيسي وعادت
الصرخات تعلق من ساحة السباق •• وود لو يصل الى بيته بسرعة
ليوسع اطفاله الجياع ضربا •

نجمة الظهيرة

هبت الطيور على صفحة النهر ، والقى الطفل حصوة مدورة ،
وراقب ارتفاع الطيور وتبعثرها وتابعتها وهي تتجمع وسط النهر •
وقال لوالده :

— لم اصطد واحدا منها

وسحبه والده من اذنه وهو يقول :

— تعال ايها الكلب •

وتفرت الدموع من عيني الطفل وهو يحاول ان يفتح قبضة
والده بكفيه الصغيرتين •

واضاف الاب :

— كن عاقلا والا رميته في النهر •

ثم ارتخت اصابع الاب عن اذن الطفل • وحمل ولده بين
ذراعيه ، وكان مديره كالموجه في ذهنه وهو ييصق عليه ويطرده •
واعترض ولده بذراعيه وهو يرتعد •

الجزيرة

استفاقت المرأة مدعورة على صوت طائفة تحوم فوق سطح
المنزل حيث تنام ، وكانت الطائفة الهليوكوبتر قد استدارت ثم
عادت ، وبدأت قريبة من سريرها واسرة اطفالها الثلاثة ، وخيل اليها
انها ستسقط عليهم ، وارادت ان تنهض وتحمل اطفالها الذين
استيقظوا وراحوا يتفرجون على الطائفة ، لكنها شعرت بالخدر
والعجز •

ومضت الطائفة بعيدا ، واستيقظت في ذهن المرأة ، وبهلع
صورة زوجها الضابط في الجبهة ، واصبحت دقائق قلبها سريعة
جدا •

شمس بعيدة

نظر الى الحلقات الحديدية المثبتة على جدار الحمام ، ومس
الجبل المتدلى منها ، وتذكر صرخات السجناء الذين ادخلوا قبله ،
واحس بالاختناق . لقد قال لهم (لا) عندما طلبوا منه ان يصعد
الى الجبل ويحمل السلاح ، ثم اقتادوه وادرك انه في السجن حين
افاق من غيبوبته .

واخرج الفتى قطعة معدنية من جيبه وحفر صورة شاب
يقدم زهرة لفتاة ، وتراجع ثلاث خطوات وتملى في الصورة .

وانفتح الباب ودخل الحارسان ، وامسك احدهما يده اليسرى
ورفعها وربطها بالجبل ، ثم علق يده اليمنى ، وتهيأ للبدء بتعذيبه ،
والتفت الفتى الى الصورة التي حفرها . ولم يعد يراها .

الوجع

رفع سائق الشاحنة صوته مغنيا عندما شعر بالنعاس في
الطريق الطويل وود لو يتوقف ويغفو قليلا .

وشاهد بعيدا ، وعلى انحناء الارض المغبرة فارسين يطارد
احدهما الآخر ، ورأى الفارس الاول يلتفت نحو مضارده ويطلق
عليه رصاصة ، وسقط الفارس الثاني هو وحصانه ، وشكل الاثنان
بقعة سوداء ، واستمر حصان الفارس الاول يعدو ، واختفى في
الافق .

وكف السائق عن الغناء ، وضغط على البازيرين وردد مع
نفسه :

- انني لم أر أي شيء .

السلام

السواحل المظلمة

سمع الرجل صوت هدير بعيد ، واستيقظ تماما ، وخرج ونظر في الظلام الممتد ، وتأكد ان السيل يقترب ، واندفع الى الداخل صارخا بزوجه ان تستيقظ وتهرب ، ثم ركض الى باب جاره وقرعه بقوة وهو يهتف محذرا ، ووثب الى بيته وحمل طفله الصغيرة واخاها الاعصب ، وطلب من زوجته ان تساعد ابنيها الاعرجين في الصعود الى المرتفع ، والهرب الى جهة المستشفى ، وانطلق الرجل وهو يبحث زوجته ، التي كانت تنظر الى الاثاث وتفكر في استنقاذها ، وحين استدار الرجل صاعدا في المطر ، شاهد كتلة ماء ارتفاعها اربعة امتار ، تنقذف نحو بيته ، وحين اصبح في اعلى الوادي ، استدار وهو يستحث زوجته بصوت مدو .

لقد قال لجاره عندما هطل المطر بكثرة ، ان السيل سييجي ، واجابه الجار :

- عندما يجيء السيل ، سنسمعه ونراه ، قبل ان يصل الينا .
- ثم اقبل بابه ونام هو وزوجه وبناته الست .

- صرخ الفتى المدلل في دهليز المنزل :
- اين انت يا بنت الحمار ؟
- وكانت امه راقدة على فراشها ورددت بوهن :
- انني اموت .
- ومد رأسه وحدق فيها ، وقاس قوتها ، ثم امرها :
- انهضي واغسلي ملابسي .
- ولم تجبه .
- وفكر في انها ستموت ، واسف لانها لن تغسل ملابسه ،
- وسمعها تنن قائلة :
- لا استطيع .
- وجذب الباب وصفقه بقوة ، وخرج ، وكان مهسوما يفكر
- في ملابسه المتسخة .

وبقي الرجل يقظا ، واستمر يخرج بين حين وآخر ، ويلقي نظرة الى مصب الوادي في المرتفع ، ولم يقترب من فراشه ، وكان قد اطمأن حين اقام بيته الصغير ، على جانب الوادي ، خلف كتلة كبيرة من الصخر ، وايقن انها ستصد المياه المتدفعة لو حدث سيل ، ولكن بيت جاره كان مكشوبا للمياه ، وكانا قد بنيا على جانب الوادي لان ارضه رخيصة •

وارتطمت كتلة الماء بالصخور ، واستدارت سريعة نحو المنزل ، وامسكت الام بطفليها الاعرجين ، وتعرش احدهما وسقط ، وعجز عن التقدم ، وامسكت الام بالطفل الآخر ، وانحنت تساعد ابنها على النهوض ، وارتفعت الامواج الضخمة الهادرة ، وافلت من يدها الطفل المطروح على الارض وحاولت امساكه حين تحرك مع الماء ، وغمرت موجة جديدة ، وكانت قد افلحت في مسك ثوب أبنها ، وجرفت الامواج الهائلة وهي تحتضن طفليها وقد غاصا ، وحاولت الوقوف ، لكنها سقطت •• وحاول الرجل من مرتفعه ان يحدد مكانها ، لكن الامواج كانت سريعة •

وانتبه الرجل الى دوي انبعث من منزل جاره ، الذي هوى واصبح كتلا صغيرة في المياه •• وصمت الصرخات الصغيرة اليائسة ، وشاهد قائم جاره ، الذي افلح في الخروج من بيته ، وهي تنحني ، ويجرفها الماء •• وانسحب الرجل مبتعدا تجاه المستشفى ، واخذ الماء يملأ مجرى الوادي •

وفي اسفل الوادي ، كانت البساتين المثمرة ، تنتظر من يقطفها ، ومكث اصحابها فيها ، خشية ان تسرق في الليل ، وردد الرجل :
- وصلهم السيل •

وامل الرجل ان تلقي المياه بزوجته وولديه على جانب الوادي فيستطيعوا النجاة •

وارتجف الطفلان اللذان يحملهما ، وغسلهما المطر ، وغمرت الشقة عليهما ، واستعجل الوصول الى المستشفى ، واستقبلته الممرضة النخفر ، وسأته بهلع عما يحدث ، واندفع الى الداخل متخلصا من المطر واتجه نحو المدفأة :

- السيل •• السيل •• لم نشاهد مثل السيل ابدا •
وتناولات الممرضة الطفلين ، واختفت في رواق المستشفى ، ودخل ثلاثة مرضى وانهالوا عليه بالأسئلة •

وعادت الممرضة ، وقد لفت الطفلين بمفرشي سرير ، وقربتهما من النار وهي تدعك شعرهما بمنشفة ، وتعلق المرضي بالشبايك المظلة على الوادي ، وهم يقدررون الخسائر •

ونظر الرجل الى المدينة ، وسمع هتافات الناس الذين ايقظهم هدير السيل وشاهد الاضواء تضيء متتابعة في البيوت ، وخرج من المستشفى وهبط بحذر نحو مجرى الوادي الذي ينتهي الى البساتين •
وتحركات سيارات من الجهة الاخرى ثم توقفت ، واقترب جمع من الناس ، وفجأة انقطع التيار الكهربائي بعد ان جرفت المياه العمود الذي يوصل بين المحولة الموجودة قرب المستشفى وبين المدينة ، وعم الظلام الجهة الاخرى •

وعلت اصوات اصحاب البساتين من اسفل الوادي ، تطلب النجدة ، ولم يعد الرجل يرى اي شيء ، وانثى ضوء مصباح يدوي ، توجه نحو البساتين ، وتلاشى الضوء بين الاشجار ، والتمعت وهجة

انصباح في المرتفع ، ثم اضاءت سيارة انوارها التي لم تنش سوى
نهايات الاشجار العالية ، ثم انطفأت ، وساد صوت المطر المنهمر
والماء الهادر الكثيف ، وكانت صرخة تعلو بين حين واخر موجهة
نحو المدينة •

واستمر الرجل يتفرس في كتلة المياه وجوانب الوادي ثم
صرخ مناديا •

- نجية • نجية •

واجابه رجل من الجهة الثانية :

- من ؟ محمود ؟ •

وصاح محمود نحوه :

- هل شاهدتم زوجتي وولدي ؟

وعاد الصوت مدويا في الصمت :

- اليسوا معك ؟

وتقدم الرجل خطوات نحو حافة الوادي وحشد في

الصخور وهو يردد :

- اذن لا زالت في الوادي •

وهتف رجل من اسفل الوادي :

- انقذونا •

والتفت الجميع صوب الصوت ، وكان الرجل يجلس فوق
شجرة ضخمة ، واثار يده ، وارتفعت ست ايد تلوح ، وهي تنادي
مجتمعة :

- انقذونا •

وكان الرجال متوزعين فوق الاشجار ، والمياه تحيط بهم ،
وهي تندفع ، منحدرة ، ثم تستدير نصف استدارة حول كتلة صخرية ،
ثم تنغمر في النهر •

وناداهم رجل من فوق :

- كلكم احياء ؟

واتاه صوت من الوادي :

- كلنا احياء •

وازداد المطر كثافة ، واقبلت سيارة المسؤول الاداري وتوقفت
خلف الرجال المتجمعين ، وتطلع صوب الرجال الذين يجلسون فوق
الاشجار ، ونحو الرجل الوحيد الواقف في الجانب الثاني من الوادي •

واوعز الى رجل ، فصاح :

- ستصل طائرات الهليكوبتر • وتتفدكم •

ثم تحول الى الرجل :

- محمود • من معك ؟

- ولد وبنت •

وقال الرجل للقائمهقام :

- فقد زوجته وولديه •

ثم صاح الرجل من جديد :

- وجارك ؟

واجابه محمود :

- لا اعرف عنه شيئا •

- اليسوا في المستشفى ؟

- لا •

واوضح الرجل للقائم مقام :

جاره لديه زوجة وست بنات •

وراحت عيون الرجال تتفحص كتل وجوانب الوادي ، ومشى اثنان منهم متجهين فوق كتلة الوادي الصخرية الملتفة حول البساتين ، وكانا يسيران ببطء ، وهما يدققان في الكتل البارزة والمتحركة ، التي جرفها السيل ، وفي الاشجار المقتلعة الطافية ، والفاطسة ، والمتكسرة ، ثم عادا بنفس البطء ، وتجمعت نسوة الرجال المتسقين واطفالهم واقاربهم وكبر تجمع الناس واصبح خطا طويلا فوق الوادي ، ومضت نسوة الرجال يصرخن واحدة بعد الاخرى :

ـ ابو محمد « اشلونك » ؟

ويجيها زوجها باقتضاب :

ـ كما ترين •

وتبارى الاطفال في مناداة ابائهم واسماعهم اصواتهم ، وعاد البعض الى المدينة بعد ان تبلل بالمطر ، ومكثت عوائل الرجال المتعلقين وهم يرمقونهم وينظرون الى القائم مقام ليتحرك بسرعة ويعمل أي شيء لاتقاذهم • وركب المسؤول الاداري سيارته وعاد الى المدينة ، واقبل عدد من رجال الشرطة والامن والموظفين ، وراحوا يبحثون عن طريقة لانقاذ الرجال ، وبقيت المياه المرتفعة حائلا امام اقتراحاتهم ، ثم نصح أحد الموظفين الشرطة :

ـ اركبوا زورقا وانقذوا الرجال •

وهب مفوض الشرطة ، الذي ادرك بحذره ، مدى الورطة التي

يحاول ذلك الموظف زجهم فيها :

ـ وهل تأتي معنا ؟

وصمت الموظف وهو يراقب الجذوع الضخمة الطافية وهي تنقذ مستقيمة وسط المياه • ثم ترتطم بجانب الوادي وتستدير سريعة ثم تظل تدور وهي تهبط نحو المصب •

واحاط اناس خرجوا من خلف المستشفى بالرجل الوحيد ، وارتفعت صرخة قريبة من زوجته ، ثم تعالت صرخات من نساء اخريات ، واستفز الصراخ جميع النساء ، حتى نسوة الرجال المعلقين ، رحن يولولن وينسدين ، و اشار الرجال اليهن بالصمت والابتعاد ، فما زال رجال احياء ينتظرون فوق الاشجار ، وابتعدت امرأة صوب البيتين وهي تلطم رأسها وتنوح •

وعاد المسؤول الاداري من جديد وقال لاحد رجال الشرطة :

ـ اتصلت بالعاصمة • وستجيء الطائرات •

وردد شرطي بصوت مرتفع •

ـ ستجيء الطائرات •

وارتفعت جميع الرؤوس الى السماء وهي تبحث عن الطائرات • واستمر اناس يحضرون • رجال واولاد يركبون الدراجات ، ورجال ونساء يمشون وعباءاتهم تتطاير في الريح والمطر ، وانصرف اخرون الى المدينة أو غابوا خلف المستشفى البيضاء •

وتراجع محمود ودخل المستشفى ، وكان طفلاه يجلسان في غرفة الممرضة وهما يلتهمان قطعا من الحلوى ويضحكان لمدايعاتها •

وناداه الطباخ :

ـ تعال وكل شيئا •

واجابه بفتور :

- لا اشتهي •

وتقدم الطباخ منه وسجبه من ذراعه قائلا :

- لا بد ان تأكل •• انت جائع •

ورضخ الرجل ومشى خلفه ودخلا المطبخ ••

وشيعه الرجال بنظرة رثاء •

ورقد محمود مع ولديه في غرفة بالمستشفى ، وهو يتاملهما ،
ويفكر في زوجته وولديه الاعرجين الذين غرقوا ، ثم يتوقف ويعود
الى مسألة تعلقه ، فأين سيذهب بعد ان يتوقف السيل ، فهو ان يبقى
في المستشفى ، كما انهم لن يسمحوا له بذلك • والتمعت في ذهنه
فكرة وهي ان يذهب الى بيت شقيقته في المدينة ، ثم يبدأ حياته من
جديد ، ولم يستطع ان يقرر كيف سيبدأ حياته الجديدة •

وومض ولداه الاعرجان في ذهنه ، وقرر انهما نجيا من حياة
بائسة تنتظرهما في المستقبل ، وتخلص هو من عبثهما عليه ، وطلب
توبة ربه في لحظات اله الهائجة ، وتشبث فكرة تخلصه منهما بعقله ،
وتخفف شعوره بالانتم تدريجيا •

وانبعث تعليق الممرضة الذي سمعه صدفة سريعا :

- الرجال لا يحزنون •

ولم الحزن على حياة قاسية ؟ ولا سيما بالنسبة للفقراء الذين
يقضون حياتهم المريرة بكدم متصل واقصى امنياتهم ان يشبعوا ؟ وهمس :

- ليتني مت • وليتي لم أولد •

وحرك الابن الاعضب يده •

- هذا المسكين •

وتذكر الولدين الاعرجين :

- انه افضل منهما ، فماذا سينتظر صبي اعرج ، لاسند له في هذا
العالم ، من الحياة ؟

وزحف نحوه الطفلان واستكانا قرب قدميه ، وانحنى عليهما
وقد انفجرت عواطف دامية في داخله • وخاطبهما •

- ماذا كان سيحل بكما لو مت ؟

ونظرا اليه بدون ان يفهما ، وصمت واشاح ببصره ، ثم اضاف :

- لن اترككما • سأزوج امرأة تعني بكما •

وكانت فكرة الزواج قد لاحت له منذ ان تيقن ان امرأته ماتت
 واصبح وحيدا ، واطمأن ، وشعر بالتعب يملأ جسده ، وود لو ينام ،
واخذ جسده يتراخى •

وواصل الرجال المعلقون صراخهم برجال الشرطة :

- اين الطائرات ؟ متنا من الجوع والبرد

وكانت الاشجار الضخمة يهزها الماء ، وهم ينظرون الى كتل
الثمار الطافية بأسي ، وكانوا قد انتزعوها من الاشجار في النهار ،
وكدسوها في زوايا الاكواخ ، لكن السيل داهمهم ، ونجوا عندما
سمعوا صرخات الرجل في اعلى الوادي وهدير السيل ، ولم يستطيعوا
الهرب الى خارج الوادي الواسع المرتفع ، واختاروا الاشجار الصلبة
واعتلوها ، وتأكدوا من نجاتهم جميعا عندما تنادوا ، واستمر الهدير
الصاخب يصدم اسماعهم ، ويفكرون في مصيرهم لو ان الاشجار
لانت للسيل وانجرفت ، واستمرت ايديهم تشد بقوة على الاغصان ،
ويحاولون الجلوس بشكل يتفادون فيه السقوط •

ويبحث اصابعهم ، وعلى متناول ايديهم ، عن الثمار اليايسة والمعطوبة ، وحاول احدهم ان يبت فيهم الصبر ، وقرأ لهم آية قرآنية ، ولم يجيبوا عليه ، ولبت خوفهم في اعماقهم وراحوا يتضرعون يائسين . واستمر الرجال المعلقون يرتجفون من البرد ، وهم يتمسكون باغصان ، وانصرف الجمع في اعلى الوادي تباعا ، وثبت شرطي في مكانه ، وبقي القائم مقام وحده يجيء بين حين وآخر ، ثم يعود الى دائرة البريد ، ينتظر برقية او تلفونا او اشارة تخبره بوصول الطائرات .

وبدأ الوادي الفسيح الذي توسع ، من اعلى ، مغرقا في الظلام ، عندما مرت غيوم ثقيلة .

ثم انقطع المطر وهبت الريح المثلجة من الصحراء ، وبدأ الهدير يتلاشى وانتبه الرجال المعلقون ، وصاح احدهم :

- توقف السيل .

وانصت الآخرون . وعلق احدهم :

- يبدو انه توقف .

واعترض آخر :

- ربما هدر من جديد .

واضاف :

- هذه الصحراء كبيرة ، لا تعرف اين تتجمع فيها الامطار

وتشير ، وقد يجيء السيل من مكانات اخرى ، فالمطر كان كثيرا .

- لكن المطر توقف .

واستهجن رجل التعليق :

- يجوز ان المطر توقف هنا ، لكنها ربما تمطر في مكان اخر في الصحراء .

وصمت الرجال ، وهم موقنون بان السيل توقف ولكن احدا منهم لم يجزؤ على الهبوط والخوض في المياه .

ونظروا الى المياه السوداء ، التي تمور حول اشجارهم ، وراقبوا السماء الملبدة بالغيوم ، والتي ينفذ من فجواتها نور القمر ويضيء كتلة الماء الكبيرة والوادي الاسود الذي يحيط بهم ، ثم يخفي الضوء وتغرق الاشياء في السواد .

وظل انتباههم موجها الى الصوت المتحدر من الاعلى ، وعلق احدهم مؤكدا :

- انقطع السيل .

وتشكى واحد متوجعا :

- انني مريض .

واجابه اخر بصوت اعلى :

- وانا اكثر مرضا منك .

وعلق ثالث :

- كلنا مرضى .

وارتفع صوت من اعلى الوادي :

- توقف السيل .

ورد الشرطي مؤيدا .

وعلق رجل طالبا تأييد الاخرين لفراسته :

- ألم أقل لكم ؟

لكن الرجال لم ينزلوا في المياه المتحركة ، واشتد تعلقهم ببيوتهم

العرب

دفع عربته الحديدية الصغيرة ، وشمس الصباح الحامية تفرق جسده بالعرق ، وكان يحس بخيوط باردة على رقبتة التي يلامسها الهواء .

توقف امام بيت كبير ، وتقدم من الباب وهو يشعر بدقات قلبه الصاخبة ، افتتح الباب وظهرت امرأة شقراء .. نظرت الى عربته ، ثم اليه ، وهزت رأسها داخلة .

كانت هذه المرأة الشقراء حلме الدائم ، لقد رأى نساء الحي كلهن ، لكن هذه المرأة وحدها ، استطاعت ان تترسخ في ذاكرته ، وطالما نظرت اليها بتضرع عليها تفهم نظراته ، لكنها كانت لا تعيره اهتماماً .

انه منذ ثلاث سنوات يعمل جامعا للقمامة في الحي ، وهي مهنة أحقر من ان تحتقرها ، وقد شزرتة في باديء الامر بنظرات متفحصة ، لتحفظ ملامح وجهه ، كرجل مشبوه ، يمكن تقديم اوصافه .

وبالدفء والطعام ، واخذ أناس يفدون ، واناوت السيارات الوادي باضوائها الوهاجة .

وفي الفجر زحف الكثيرون الى الوادي ، وكانت المياه قد توقفت عن الجريان ، ونزل الرجال من فوق الاشجار وامسكوا جذوع الاشجار وتمطوا وحركوا ارجلهم ، وغمرهم الماء الطيني الى افاذهم ، واخذوا يسيرون حذرين وبطيئين وهم يخوضون ووصلوا الى منحدر الوادي ، ثم مضوا يتسلقون واحدا بعد الآخر ، وحين اصبحوا في اعلى الوادي ، تمددوا على الارض ، منهكين وجائعين ، وحمل الناس الرجال الى السيارات ، وانطلقت بهم ، وركضت نسوتهم صوب المدينة ، ليكن بجانبهم .

وبقي اقارب اصحاب البيتين اللذين مجيا ، ومجموعة من رجال الشرطة .. ومن الجهة الاخرى هبط محمود ، واخذ الجميع يبحثون عن الجثث التي جرفتها المياه ، وكانوا كلما عثروا على جثة رفعوها ووضعوها في الاعلى ، واستمر الرجال يخوضون متجهين نحو الاسفل ، ووجدوا اخر جثة مطمورة قرب الشاطئ .

ونقلت الجثث الى المدينة . ومن ثم الى المقبرة . وما ان سوى التراب عليها ، حتى اختلطت في ذهن محمود صورة المرأة التي سيتزوجها .

واشرقت الشمس في الظهيرة ، وبدت الصحراء الممتدة غامقة ومروية ، ومن الافق البعيد ظهرت طائرتا هليوكوبتر قادمتين ، وحلقتا عاليا ، ثم هبطتا في ساحة واسعة وسط المدينة .

انه لا يعرف كيف بدأ ولعه بها ، ثم سيطر عليه ، لكنه يعلم ان لهفة حياته هي رؤيتها صباح كل يوم •

وأمام الباب الداخلي ، سمع صوت ارتطام ثقيل على الارض وأنة متوجعة ، نظر من فوق الحائط ، وشاهد القمامة منشورة من فوهة البرميل الصغير والمرأة تستند على الحائط وهي تسك بأسفل ظهرها ، حدق في وجهها المتقلص من الألم ، ولم يتجرأ على دفع الباب والتقدم اليها •

وزحفت عجوز من داخل البيت وسألتها :

- ماذا حدث ؟

اشارت المرأة المسككة بأسفل ظهرها ، برأسها ، وهست :

- ظهري •

وأرادت ان تعود الى الداخل ، ولم تستطع التحرك ، وهزت العجوز الى الباب الامامي لتطلب نجدة ، فتراجع جامع القمامة والتصق بعربته •• مدت العجوز رأسها وشاهدته ، لكنها تخطته لتبحث عن رجل آخر ، وأحس جامع القمامة بخدر ، اذ ان الطريق كان خالياً • وعادت العجوز تنظر اليه •• ثم نادته •

تساءل متردداً - انا - ؟ انا ••؟

- تعال ساعدنا •

ترك عربته ودخل خلفها • ونظر الى المرأة الشقراء المتألمة وشاهدها تنظر الى يديه ، وأحس بوساختها ، فرفعها ودعكها بقميصه ، ثم سأل العجوز - ماذا افعل ؟

قالت العجوز - ساعدها على الدخول الى البيت •

انتظرت المرأة ، الرجل ، ان يساعدها ، ومد جامع القمامة يده بحذر ، ولم يستطع ان يحدد أي مكان يسمح له بلمسها منه ، ليساعدها ، ثم أمسك يدها بركة ، وانتظر ان تتحرك ، لكنها تأوهت ولم تستطع ان تنقل قدمها خطوة • وقالت :

- لا أستطيع المشي •

واجهته العجوز :

- اسندها بقوة •

ترك يدها ، وبتردد ، مد يده الى خصرها ، ورفع يدها وادارها فوق رقبته وتمسك بها •

تقدمت خطوة ، وأحس بنهدها يلامس كتفه ، وبعطرها الخفيف ينفذ فيه ، كان دائخا • وود لو يدخلها بسرعة ، وتقدمتها العجوز وفتحت باب غرفة النوم ، وببطء ، دخلا • وكانت اصابعه تلتصق على بطنها ، من فوق ثوبها •• وعندما وصلا الى حافة السرير كان عليه ان يفلتها •• ولم تستطع التمدد لوحدها ، فأمرته العجوز أن يرفعها ••

أحنى جذعه ووضع يداً تحت فخذها ووضع الاخرى على ظهرها ، واستطاع ان يرفقدها ، وبقي واقفاً بجانب السرير يتأملها •

انحنت العجوز عليها ، وسحبت ثوبها الذي ارتفع الى ركبتيها ، ومسحت بكفها المكان الذي كان يمسكها منه ، ثم تراجعت ومدت يدها الى جيبيها ، وأخرجت درهماً ، ناولته له وهي تأمره :

- خذ •

نظر الى الدرهم ، ثم الى المرأة التي كانت تراقبهما .. تراجع
الى الوراء وهو مباغت :

- لا .. لا ..

وانطلق مسرعاً الى الخارج .. وأمسك بعربته ودفعها
باستقامة .. وكانت ضجة عنيفة في رأسه .. المرأة الحلم بين يديه ،
لقد لمسها وضغط على جسدها ، وربما لن يتحقق له ان يلمسها من
جديد ، الى الأبد .. وهو يدور في وضعه المهان ..
وعاد مسرعاً الى مركز تجمع العربات الخالي في ذلك الصباح ،
دفع عربته وأوقفها في الزاوية ، ولم يجب على تساؤلات الموظف ،
وخرج ..

كانت الشمس المحرقة والهواء الساخن ، يلفحان كل شيء ،
ولم يبد على الرجل الذي كان يشي وسط الطريق انه يحس
بأي شيء ..

المحتوى

١ - العيون	٥
٢ - الرجل	١٩
٣ - القفزة	٢١
٤ - مال	٢٣
٥ - الطيور الجبيلة	٢٥
٦ - مسافات	٢٧
٧ - الجسر الضوئي	٢٩
٨ - الهروب	٣١
٩ - رجل الممرات	٣٧
١٠ - نوافذ مظلمة	٣٩
١١ - نوافذ مظلمة ، مظلمة	٤١
١٢ - التصاق	٤٢
١٣ - التصاق	٤٣
١٤ - شرفة في بيروت	٤٤
١٥ - الوليمة	٤٥
١٦ - نافذة	٤٦
٦٧ - زوارق	٤٧
١٨ - أوتاد	٤٨

٤٩	١٩- المزلاج
٥٠	٢٠- العكازة
٥١	٢١- السكة
٥٢	٢٢- عزيزتي سميرة
٥٣	٢٣- المنحنى
٥٤	٢٤- نجمة الظهيرة
٥٥	٢٥- الجزيرة
٥٦	٢٦- شمس بعيدة
٥٧	٢٧- الموج
٥٨	٢٨- السلام
٥٩	٢٩- السواحل المظلمة
٧١	٣٠- العربة

تصميم الغلاف والخطوط : رضا الخطاط
التصميم الداخلي : خضير عباس اللامي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨٣٢ سنة ١٩٧٧